المواهب الروحية الرهبانية

{١} القديس يوحنا كاسيان	{٢} كاليستوس وأغناطيوس	{٣} قديسون أخرون
{٤} مار إسحق السرياني		

{١}
القديس يوحنا كاسيان

المواهب الإلهية ـ للأب نسطور

١ـ مقدمة

بعد خدمة المساء جلسنا معا على الحصر كالعادة لنسمع الحديث الذي وعدنا به. وإذ بقينا صامتين إلى حين احتراما للشيخ، قطع سكوتنا بمثل هذه الكلمات:

تدفعنا مناظرتنا السابقة لنتحدث عن {تدبير المواهب الإلهية}، هذا الذي كما تعلمناه من تقاليد الآباء الشيوخ أنه ذو ثلاث جوانب:

الجانب الأول:

مواهب الشفاء، حيث تلازم الآيات أناس مختارون وأبرار، وذلك من أجل استحقاقات قداستهم، وهذا يظهر بوضوح في حالة الرسل، وكثير من القديسين، إذ تتم على أيديهم الآيات والعجائب بسلطان

الرب القائل: "اشفوا مرضى، طهروا برصا، أقيموا موتى، أخرجوا شياطين، مجانا أخذتم مجانا أعطوا" {مت١٠:٨}.

📖 والثاني من أجل تعليم الكنيسة.

📖 أو من أجل إيمان الذين أحضروا مرضاهم.

📖 أو إيمان الذين يشفون أنفسهم.

📖 ويتم الشفاء حتى على أيدي الخطاة، وغير المستحقين لها.

📖 هؤلاء يتحدث عنهم المخلص في الإنجيل قائلا: "كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب، أليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟! فحينئذ أُصرح لهم إني لم أعرفكم قط، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم" {مت٧:٢٢،٢٣}.

📖 من الناحية الأخرى، أحيانا يعوق إيمان المرضى، أو الذين أحضروهم عن إتمام الشفاء ... ويقول الإنجيلي: "لم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة غير أنه وضع يديه على مرضى قليلين فشفاهم، وتعجب من عدم إيمانهم" {مر٦: ٥ و٦}.

📖 ويقول الرب نفسه: "وبرص كثيرون كانوا في إسرائيل ... لم يطهر واحد منهم {لعدم إيمانهم} ألا نعمان السرياني" {لو٤:٢٧}.

📖 الطريقة الثالثة في الشفاء:

📖 تتم بخداع الشياطين وحيلهم، وذلك عندما يُستعبد الإنسان لخطايا واضحة، ولكن إذ يندهش الناس من المعجزات التي يصنعها ينظرون إليه كقديس، وخادم الله، فيقتفون آثاره ويتمثلون بخطاياه.

📖 وهكذا ينفتح باب المكابرة، وتُهان قداسة الدين، وينتفخ ذاك الذي يظن أنه يملك موهبة الشفاء بكبرياء قلب، ويسقط سقوطا خطيرا.

📖 ويقول الإنجيل: "لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يُضلُوا لو أمكن المختارين أيضاً" {مت٢٤:٢٤}.



٢- لا تكرم الإنسان من أجل صنعه المعجزات

إنما من أجل محبته: يجدر بنا ألا نندهش قط من الذين يصنعون هذه الأمور، من أجل سلطانهم هذا، إنما بالأحرى يلزمنا أن ننظر إن كانوا كاملين من جهة تخلصهم من كل الخطايا، وإصلاح طرقهم. هذه هي المعرفة العملية التي عبر عنها الرسول باسم آخر، وهو الحب.

فبسلطان فضل الرسول الحب فوق كل ألسنة الناس والملائكة، وأكثر من كل الإيمان الأكيد الذي ينقل الجبال، وعن كل معرفة ونبوة، وعن توزيع كل الأموال، وعن مجد الاستشهاد ذاته.

لأنه عندما عدد كل أنواع المواهب وقال: "فإنه لواحد يُعطَى بالروح كلام حكمة. ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان بالروح الواحد، ولآخر مواهب الشفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات، ولآخر نبوة، ولآخر تمييز الأرواح، ولآخر أنواع ألسنة، ولآخر ترجمة ألسنة" {١كو١٢:٨-١٠}.

وإذ كان آخذا في التحدث عن المحبة قبل كل المواهب، إذ يقول بكلمات قليلة "ولكن جدوا للمواهب الحسنى، وأيضا أريكم طريقا أفضل" {١كو١٢:٣١}.

بهذا يظهر بوضوح أن علو الكمال والتطويب، لا يكمن في تنفيذ مثل هذه الأعمال المدهشة بل في نقاوة الحب. وهذا ليس بغير سبب، لأن كل هذه الأمور ستنتهي، وأما الحب فيبقى إلى الأبد.

هكذا فإن هذه الأعمال والعلامات {عمل المعجزات} لم تكن تشغل آباؤنا، إنما بالأحرى عندما كانوا يملكونها بنعمة الروح القدس، لم يريدوا أن يستخدمونها ألا في حالة الضرورة الملحة للغاية، والتي لا يمكن فيها الامتناع عنها.



📖 ٣- مثال لصنع المعجزة من أجل رد البسطاء:

📖 إننا نذكر الميت الذي أقامه الأب مكاريوس الذي هو أول ساكني صحراء الإسقيط، وذلك عندما ظهرت هرطقة معينة تبعت خطأ إنوميوس الذي بجدله المملوء خبثا حاول أن يهدم بساطة الإيمان العام، وقد خدع كثيرين.

📖 سُئل مكاريوس الطوباوي بواسطة مجموعة من المؤمنين الذين اضطربوا خائفين مما حدث، راجين أن يحرر القطيع البسيط في مصر من مخاطر الكفر.

📖 فذهب الأب إليهم، فأراد الهرطوقي أن يستخدم معه الجدال ... لكن الطوباوي مكاريوس وضع حدا لثرثرته بواسطة القول الرسولي المختصر قائلا: "ملكوت الله ليس بكلام بل بقوةٍ" {١كو٤:٢٠}.

📖 لنذهب إذن إلى المدافن ونستخدم اسم الرب على أول ميت نجده، وكما هو مكتوب: "أن نظهر إيماننا بأعمالنا" {يع٢:١٤}، مظهرين البراهين الواضحة للإيمان الحقيقي بشهادة الله، وبهذا يظهر الحق الواضح لا بمناقشة الكلمات إنما بقوة العجائب، فلا يكون في الحكم خداعا.

📖 عندما سمع الهرطوقي هذا الكلام غلب عليه الأمر وصار في خزي أمام الحاضرين، فتظاهر بالموافقة، ووعد أنه سيأتي في الغد.

📖 وفي اليوم التالي إذ اجتمع الكل بشغف عظيم منتظرين في المكان المحدد، راغبين أن يروا المشهد، إذ به يهرب خارج مصر مرتابا في عدم الإيمان. وإذ انتظر الطوباوي مكاريوس مع الشعب حتى الساعة التاسعة، أخذ الشعب وذهب به إلى المدافن المعينة ... {وأقام ميتا متحدثا عن الإيمان السليم ثم نام مرة أخرى}.

📖 ٤- معجزة بدافع الحنان والشفقة:

📖 ما الحاجة إلى أن أشير إلى أعمال الأب إبراهيم الذي يدعى بـ

"البسيط" وذلك بسبب بساطة حياته وبراءته.

📖 هذا الرجل عندما نزل من البرية إلى مصر لأجل الحصاد في الأحد السابق للصوم الكبير أزعجته امرأة بدموعها وتوسلاتها، إذ جاءت إليه بطفلها الذي كاد أن يموت بسبب نقص اللبن، فأعطاها كوب ماء رسم عليه علامة الصليب، وما شربت منه للحال صار صدرها مملوء باللبن الغزير.

📖 ٥- معجزة من أجل تمجيد اسم الرب يسوع:

📖 ذهب نفس الرجل إلى قرية فأحاط به جماعة من الساخرين، الذين جاءوا إليه بإنسان فقد قدرته على المشي منذ سنين طويلة، وقد انحنت ركبتيه وكان يزحف، وقد ضعفت رجليه من الجلوس الدائم.

📖 جربوه قائلين: "أيها الأب إبراهيم إن كنت خادم الله تعيد هذا الإنسان إلى صحته السابقة، فنؤمن أن اسم يسوع الذي تؤمن به ليس باطلا".

📖 للحال استخدم اسم السيد المسيح، وانحنى وأمسك بقدم الرجل ثم جذبها وإذ لمسها صارت الركبة اليابسة المنحنية مستقيمة، وعادت إليه قدماه كما كانتا، ورجع المقعد فرحا.

📖 ٦- لا تحكم على استحقاق إنسان بمعجزاته:

📖 كان هؤلاء الرجال لا ينسبون شيئا لأنفسهم بسبب قدرتهم على صنع مثل هذه الأعاجيب، معترفين بأنهم لم يصنعوا هذا عن استحقاقاتهم بل بحنو الرب.

📖 ورفض الرسل الكرامة البشرية المقدمة لهم بسبب الاندهاش من معجزاتهم قائلين: "ما بالكم تتعجبون من هذا، ولماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا، أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشي"؟! {أع٣:١٢}.

📖 ولم يفكر أحد أن يتمجد من أجل المواهب الإلهية والأعاجيب، بل بالأحرى بثمار الأعمال الصالحة، لأنه كما قلنا قبلا، إن أصحاب

الأذهان الفاسدة، ينبذون الحق بإخراج الشياطين، وصنع المعجزات العظيمة باسم الرب.

📖 وقد اشتكاهم التلاميذ قائلين: "يا معلم رأينا واحدا يخرج الشياطين باسمك فمنعناه لأنه ليس يتبع معنا".

📖 فأجابهم الرب من جهة الزمن الحاضر قائلا: "لا تمنعوه، لأن من ليس علينا فهو معنا" {لو٩:٤٩،٥٠}. ولكن في النهاية إذ يقولون له "يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة"، يشهد أنه سيجيبهم قائلا: "إني لم أعرفكم قط، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم" {مت٧:٢٢،٢٣}.

📖 لهذا يحذر من وهبهم بنفسه هذا السلطان لصنع المعجزات، والأعمال العجيبة بسبب قداستهم، ألا ينتفخوا قائلا: "ولكن لا تفرحوا بهذا لأن الأرواح تخضع لكم، بل افرحوا بالحري أن أسماءكم كُتبَت في السماوات" {لو١٠:٢٠}.

📖 ٧- عظمة المواهب تكمن لا في المعجزات بل في الاِتضاع:

📖 أخيرا فإن الرب ينبوع كل المعجزات والأعمال القديرة، هو بنفسه عندما دعا تلاميذه أن يتعلموا منه، أظهر لهم بوضوح ما ينبغي عليهم بحق أن يتعلموه بصفة رئيسية: "تعلموا مني" ليس بصفة رئيسية أن تخرجوا الشياطين بقوة سماوية، ولا أن تطهروا البرص، ولا أن تشفوا العي، ولا أن تقيموا الموتى، فإنه هذه الأمور أفعلها خلال خدامي، لكن لا يمكن بهذه الأمور أن يكون الإنسان ممدوحاً من الله، ولا يقدر أن يكون بها تلميذا، أو خادما له. وإنما يقول: "تعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب" {مت١١:٢٩}.

📖 فإن هذا ممكن لدى البشر عامة، إذ يمكنهم أن يتعلموه ويختبروه، أما صنع المعجزات والعلامات، فهذا ليس بضروري على الدوام، ولا هو مفيد للجميع، ولا يوهب للكل. الاِتضاع هو سيد كل الفضائل،

والأساس الأكيد للبناء السماوي، وعطية المخلص الخاصة السامية.

📖 فالإنسان يقدر أن يتمم المعجزات التي صنعها السيد المسيح "باسم الرب" من غير خطر السقوط في الكبرياء، حينما يقتفي أثر الرب الوديع، لا في سمو معجزاته بل في فضيلتي الصبر والاتضاع.

📖 وأما الذي يهدف إلى أن يأمر الأرواح النجسة، أو ينال مواهب الشفاء، أو إظهار بعض معجزات باهرة أمام الشعب، فإنه حتى وإن أظهرها تحت اسم المسيح، ألا أنه بعيد عن السيد المسيح، لأنه بكبرياء قلبه لا يتبع معلمه المتضع.

📖 في عودته إلى الآب، تهيأ هكذا ليتحدث بإرادته تاركا لتلاميذه "وصية جديدة" وهي: "أن تحبوا بعضكم بعضا، كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضا". وللحال أضاف: "بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعض لبعض" {يو١٣: ٣٤، ٣٥}.

📖 إنه لم يقل "إن كان لكم أن تصنعوا علامات ومعجزات" بل "إن كان لكم حب بعضا لبعض". هذه الوصية بالتأكيد لا يقدر أن يحفظها ألا الإنسان الوديع والمتواضع.

📖 لذلك فإن آباءنا السابقين لم يحسبوا رهبان صالحين، أو متحررين من خطأ المجد الباطل، لأنهم يخرجون الشياطين، ولا يتباهون بزهو أمام الجماهير المعجبة من النعمة التي نالوها، أو ادعوها.

📖 وهكذا فإن من يصنع شيئا من هذه الأمور {العجيبة} في حضورنا، يلزم أن نمدحه ليس إعجابا بالمعجزات، بل لجمال سيرته، ولا نطلب أن تخضع لنا الشياطين، بل بالأحرى أن نحمل ملامح الحب التي يصفها الرسول.

📖 **٨- إخراج الخطأ من حياة الإنسان أعظم من إخراج الشياطين من الآخرين:**

📖 في الحقيقة إنها لمعجزة أعظم أن يقتلع الإنسان من جسده دوافع الدنس، عن أن يطرد الشياطين من جسد غيره. وهي علامة أعظم أن يقاوم شهوات الغضب المفترسة لفضيلة الصبر، عن أن يأمر قوات الشر. وأمر أعظم وأسمى، أن ينتزع مخالب الظلمة المهلكة من قلبه، عن أن يطرد المرض من غيره، وينزع الحمى من بدنه.

📖 أخيرا فإنه بطرق كثيرة، يحسب شفاء النفس فضيلة عظمى، أكثر سموا من شفاء جسد الغير. كما أن النفس أعظم من الجسد، هكذا فإن إنقاذها أهم. وكما أن طبيعتها أثمن وأقيم، فإن هلاكها يكون أخطر.

📖 ٩- كيف تكون الحياة المستقيمة أفضل من صنع المعجزات:

📖 قيل للرسل الطوباويين بخصوص تلك الأشفية: " ولكن لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم، بل افرحوا بالحري أن أسماءكم كتبت في السماوات " {لو١٠:٢٠}.

📖 لأن هذا لا يحدث بقوتهم، إنما بقوة الاسم الذي يستخدمونه.

📖 لذلك حذرهم لئلا ينسبوا لأنفسهم أي تطويب، أو مجد من هذه الجهة، إذ هي تتم بسلطان الله وقدرته.

📖 أما النقاوة الداخلية التي لحياتهم وقلبهم، فبسببها يوهب لهم أن تكتب أسماءهم في السماء.

كتاب القديس يوحنا كاسيان ـ حماية الله للأب شيريمون ـ صفحة ٢٩٢ ـ ٢٩٥

{٢}

كاليستوس البطريرك وأغناطيوس

📖 ٤٠ـ توزيع المواهب الإلهية:

📖 ليس فقط حسب قياس كفاحنا، وعملنا، كما قيل، بل أيضاً حسب خبرتنا، وقدرتنا، وإيماننا، واستعدادنا الطبيعي:

📖 يجب أن تعلم أن توزيع المواهب الإلهية، ليست حسب قياس

كفاحنا، وعملنا، كما قلنا من قبل، بل حسب خبرتنا في هذا الأسلوب من الحياة، وقدراتنا، وإيماننا، واستعدادنا الطبيعي.

📖 **يقول مكسيموس:** "العقل هو مصدر الحكمة، والإدراك هو أساس المعرفة، والاعتقاد الطبيعي المشتق من كليهما، هو أساس الإيمان الموجود، وطبقا لكليهما.

📖 محبة الناس الطبيعية، هي أساس موهبة الشفاء، لأنه من أجل كل موهبة إلهية للنعمة، توجد وسيلة طبيعية مطابقة قادرة على تقبلها، كخبرة، أو كمقدرة، أو كاستعداد طبيعي. أعنى، أي إنسان ينقى عقله من كل الأوهام الحسية، ينال حكمة، وأي إنسان يثبت عقله كسيد على الانفعالات الفطرية فينا، أي انفعالات الغضب، والشهوة، يكتسب علما، وأي إنسان بعقله، وإدراكه، يصبح على يقين بالأمور اللاهوتية تماما، يتقبل الإيمان القوى الكامل.

📖 والإنسان الذي يتقدم في محبة الناس الطبيعية، عندما يتحرر تماما من حب الذات، ينال موهبة الشفاء وهلم جرا.

📖 احذر أن يعرف أحد ما تفعله، ما عدا معلمك الروحي، وصل باجتهاد ومثابرة من أجلنا أيضاً، نحن غير المستحقين، الذين نتكلم لكن نتدرب جيدا حتى نعمل أولا ما يرضى الله، ثم بعد ذلك فقط نعلم وننصح الغير. لأن الله يقول: "أما من عمل وعلم {الوصايا} فهذا يدعى عظيما في ملكوت السماء" " مت٥: ١٩ "

📖 لعل الله القدير الكريم يمنحك القوة، ويساعدك لتسمع كل هذا بفهم، وتمارسه في حماس وغيرة. لأنه حسب قول القديس بولس: "ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله، بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون" " رو٢: ١٣ ". لعله يرشدك إلى الأعمال الصالحة التي تخلصك، وبصلوات القديسين يقود روحه القدوس، في العمل الروحي المقدس، الذي هو أمامك آمين.

📖 وحيث أننا تكلمنا قليلا عن الحكم الصالح الفعال، فقد حان الوقت الآن أن نتكلم على قدر ما نستطيع وفى إيجاز، عن الحكم الصائب الكامل، والشامل، لأنه حسب شهادة آبائنا العظام أعظم شأنا من كل الفضائل الأخرى.

الفيلوكاليا ـ الباب السادس كاليستوس البطريرك وأغناطيوس أكسنثوبولوس صفحة ٣٠٤ ـ ٣٠٦

{٣}
قديسون أخرون

📖 **٨ـ العناية الإلهية وعطاء الله ذاته:**

📖 كعروسٍ ثريةٍ مخطوبة لعريس، تنال العديد من الهدايا والهبات قبل الزواج، من حليٍّ وملابسٍ ثمينةٍ، وأوانٍ غالية الثمن، لكنها لا تشبع، وتهنأ حتى زمان العُرس، حيث تصير واحدًا مع العريسِ.

📖 هكذا أيضًا النفس، حين تُخطب كعروسٍ للعريس السماوي، تنال دومًا من الروح القدس مواهب الشفاء، أو المعرفة، أو الاستعلان، لكنها لا تشبع حتى يتم لها الاتحاد الكامل، أعني الحب الذي لا يتغير، ولا يخيب، ولا يسقط، الذي يحرر المشتاقين إليه دون شهوةٍ، أو قلقٍ.

📖 أو مثل طفلٍ مُزينٍ باللآلئ والملابس الثمينة، حين يجوع لا يفكر فيما يرتديه، بل يتجاهل هذا كله، ويهتم فقط بصدر أمه، وكيف ينال منه اللبن طعامًا له.

📖 لهذا أتوسل إليكم أن تعرفوا أن نفس الشيء بالنسبة لمواهب الله الروحية، هذا الذي له المجد إلى أبد الأبد، آمين.

القديس مكاريوس الكبير

كتاب: الحب الإلهي ـ القمص تدرس يعقوب ـ صفحة ٣٢١

📖 **٩ـ العناية الإلهية والمواهب:**

📖 يمكننا أن نتلمس العناية الإلهية من حكمةٍ الله في توزيعه المواهب.

📖 لا يمنح الله المواهب العظيمة لكل أحدٍ، إنما يعطي المواهب الصغيرة للبعض، ولا يعطيها لآخرين.

📖 إنه يفعل هذا لكي يحقق أعظم قدرٍ من التناسق والحب، فيشعر كل واحدٍ بحاجته إلى الآخرين، وبهذا يقترب بالأكثر إليهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

كتاب: الحب الإلهي - القمص تدرس يعقوب - صفحة ٣٢١

📖 ٩. العناية الإلهية والمواهب:

📖 مواهب الرب التي نراها في الأشخاص، لا تُنسب إلى استحقاقات الأفراد، إنما إلى كرم الرب.

الأب أمبروسياستر

كتاب: الحب الإلهي - القمص تدرس يعقوب - صفحة ٣٢١

📖 **٨-** إذا كان إنسان ما، يملك موهبة روحية ما، ويشعر بالشفقة على الذين لا يملكونها، فإنه يحتفظ بالموهبة بسبب شفقته. ولكن الرجل المتباهي، سوف يفقدها من خلال الاستسلام لإغراءات التباهي.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في الناموس الوحي - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٠٦

📖 **٣١-** إسحق أراد أن يبارك عيسو، وعيسو كان متحمسا لأن يأخذ بركة أبيه، ولكنهم فشلوا في مسعاهم {ق.م. تك ٢٧}. لأن الله في رحمته يبارك ويمسح بالروح {القدس}، ليس بالضرورة هؤلاء الذين نفضلهم نحن، ولكن هؤلاء الذين عينهم لخدمته قبل أن يخلقهم.

📖 هكذا يجب ألا نغتم أو نغير، إذا رأينا أخاً معينا، الذي يعتبر جدير بالازدراء وحقير، يصنع تقدما في القداسة.

الفيلوكاليا - القديس يوحنا الكرباثى - لأجل تشجيع الرهبان في الهند - صفحة ٢٩٦

📖 أنت تعلم ماذا قال الرب: "أفسحوا مكاناً لهذا الإنسان، حتى يجلس في مكان عالي {ق.م. لو ١٤:٩}. إنني ممتلئ من العجب من القاضي، الذي يعطى حُكمه بحكمة سرية: إنه يأخذ واحد من أحقر إخوتنا ويُجلسه علينا، وبالرغم من إننا ندعى الأفضلية، على أسس نسكنا

وعمرنا، فإن الله يضعنا آخر الكل. لأنه: "كما قسم الله لكل واحد، كما دعا الرب كل واحد، هكذا نسلك" {١كو: ٧: ١٧}

📖 «وإن كنا نعيش بالروح فلنسلك أيضا بحسب الروح» {غل ٥: ٢٥}.

الفيلوكاليا - القديس يوحنا الكرباثى - لأجل تشجيع الرهبان في الهند - صفحة ٢٩٧

📖 **٣٩-** حالة الفقر الكامل، مصحوباً بالصمت، هي كنز مخفي في حقل الحياة الرهبانية {ق.م. مت ١٣: ٤٤}، لذلك اذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء {مت ١٩: ٢١}، وأقتن هذا الحقل.

📖 وعندما تُخرج الكنز من الأرض، أحفظه غير ممسوساً، حتى يمكن أن تكون غنياً بثروة لا تنضب.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس ثيئودورس الناسك العظيم - صفحة ١٩

📖 **٦٩-** البعض من الأخوة يعتقدون بأنهم مُستثنون من مواهب النعمة التي للروح القدس. ولأنهم يهملون تطبيق الوصايا، فإنهم لا يعرفون أن الذي لديه إيمان عديم الغش في المسيح، قد أخذ في داخله مجموع المواهب الإلهية. وحيث إننا في كسلنا بعيدين عن اقتناء حب نشط له، الحب الذي يُظهر لنا الكنوز الإلهية في داخلنا، فإننا نعتقد بطريقة طبيعية بأننا مستثنون من هذه المواهب.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الرابعة - صفحة ١٠٧

{٤}

مار إسحق السرياني

📖 **[٧٧]** والمعرفة البسيطة للأسرار، التي تُدرَك فقط بالتعليم، والقراءة، يدعونها الآباء: "معرفة بسيطة".

📖 بينما المعرفة الروحية تكون عند الذين، بواسطة روح الإعلان، يتحرَّكون في تفهُّم موضوعها، بواسطة حركات الدهش، التي تتدفَّق في الذهن، مَصحوبة بفرحٍ قلبي لا يُوصَف.

📖 فلنفحص نفوسنا حالَما نرى تلك الحقائق تُشرق فيها، لكي نعلم من أين تأتينا المعرفة التي تَحملها، فيما إذا كُنَّا قد تعلَّمناها، وبأي شكلٍ انطلق الذهن نحوها، وبأية وسيلة، ومع أي تعجُّبٍ يتمسَّك بِها، كَشيء يفوق الوصف، وكيف يثب القلب، ويلتهب بفرحٍ لا يقدر أي شيء أن يُوقِفه، والذي يَحتمله بصعوبة. ومَنْ كان بِمقدوره أن يفهم فليفهم، ولكن ليس كَمجرَّد أقوال عادية بلا مذاقه.

ميامر مار إسحق ـ الكتاب السادس ـ الميمر الثالث ـ المئة الثانية ـ صفحة ٦٧٢

📖 **[٣٨]** يَحدث أحياناً بعد أن يكون العقل قد تَمتَّع بوقتٍ هادئ أثناء الخدمة، أو الصلاة، فجأةً وبغير إرادته، يرتفع الجسد دون توقُّفٍ خارجاً عن طقسه – وهنا ينفتح أمامه بابٌ عظيم، وتبدأ موهبة الله في العمل! فلا يعود يشتاق للعطايا المتواضعة، ولا التعزيات الجزئية التي تُوهَب لكل الناس.

📖 فلنجتهد، يا أخي، في طلب هذه المواهب، ونَجعلها هدفاً لعملنا. إنه لا يوافق أن نتكلَّم كثيراً عنها. فما ذكرناه حتى الآن يكفي لِهذا الغرض.

ميامر مار إسحق ـ الكتاب السادس ـ الميمر الثالث ـ المئة الثالثة ـ صفحة ٦٨٣

📖 **[٤٨]** الحركات التي يُنير بها الملائكة النفس سرّاً، وهي الحركات التي تصعد فينا بسبب قربِهم الدائم مِنَّا، ومَحبتهم الوفيرة لنا، والتي تَجعل طبيعتنا تنمو قليلاً قليلاً، كما لو كانت تتدبَّر بواسطة مرشدٍ ما.

📖 وهذه هي الحركات التالية: تبدأ الملائكة بتحريك مشاعرنا سرّاً، بِجمال الفضيلة على قدر ما يستطيع المرء أن يدرك ذلك من حينٍ لآخر، وفجأةً تنشأ فيه غيرة حارَّة، مع شهوة متأجِّجة للصلاح، وغالباً ما يكون ذلك بسبب أي فعلٍ لا علاقة له بِمخافة الله.

🕮 فبغير سببٍ واضح، ينشأ بداخله حافز خفي للتوبة، أعلَى من أفكاره يدوم النهار كلّه، ويضطرم أيضاً، بصورةٍ فائقة، بتذكار ومَحبة الأمور الفاضلة.

🕮 ويُنسَب هذا إلى أحد أفعال الملائكة، التي تسمح بها مشيئة الرب الصالِح مُحب البشر. ولا تَحصل مثل هذه الحركات لأناسٍ فضلاء فقط، بل وأيضاً للعشارين، والخطاة، والأشرار، والقتلة.

🕮 وبِهذه الصورة تَجتذبنا الملائكة على قدر استطاعتهم، بعيداً عن الشر ونحو الفضيلة، ويبعدوننا عن الأعمال الرديئة، ويُقرِّبوننا من النقاوة.

🕮 وبِهذه الصورة أيضاً، حتى الأثمة الأشقياء يتوبون، ويعملون مرضاة الله. وقيل عن كثيرين منهم إنهم لَم يدركوا فقط نقاوة أعمالِهم، بل وأيضاً نقاوة ضميرهم، فقد تطهَّروا ليس فقط من الأعمال الرديئة، بل وأيضاً من الأفكار والتصوّرات المتعلقة بها.

🕮 وهذه هي الغيرة الملتهبة، التي يقبلها ذوو الاستعداد الطيِّب، منذ بداية سيرتهم الرهبانية، ويزيدون إضرامها إلى أن يدركوا الكمال، ويبلغوا النقاوة الفائقة.

🕮 والملائكة يدفعوننا هكذا إلى التقدُّم، والانتقال من الشر إلى الفضيلة، وبواسطة الفضيلة يَجعلوننا ندنو من النقاوة، وما إن نتأصَّل في النقاوة، حتى يقودونا منها إلى المعرفتَيْن، اللتَيْن هما أعلَى منها، وإحداهما تَختصّ بالتركيب الطبيعي.

🕮 وكل تعليمهم مُصوَّب إلى ذلك العلو الفائق، الذي يَحظَى بعض القديسين، بعده، برؤية الثالوث الأقدس، التي هي هدف ونهاية كل الاستعلانات التي تتطرَّق المعرفة إليها. وفي هذه الرؤية توجد كل الحركات التي تَخصّ ملكوت السماوات، عند الملائكة كما عند البشر، وتَمتدّ إليها السيرة بلا نِهاية.



📖 إن الجسد يعمل الصالحات والسيئات على السواء.

📖 أما الذهن فيفعل ما يشاء، فإما أن يُبرر أو يدان.

📖 ثمة من يصنع خلاصه بالكوارث، والنوائب التي يفتقده الله بها بحكمته، وثمة من يصنع الخطيئة جاعلاً الله سبب محنته.

📖 إن العاهات {الأمراض والأتعاب} الجسدية، تكون عند الذين حفظوا ذواتهم صيانة للبر. أما الموهبة بدون تجارب فهي هلاك للذين يقبلونها. فإذا عملت خيراً أمام الله وكافئك بموهبة، فاطلب منه بإلحاح أن يعطيك معرفة التواضع الموافقة لك، أو أن يضع حارساً لها، أو أن يستردها منك حتى لا تصبح سبباً لهلاكك، لأنه ليس بإمكان الجميع أن يحتفظوا بالغنى، ويتجنبوا أذاه.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الخامسة والثلاثون ـ صفحة ١٤٦

